عليٌّ بلسان عليٍّ

وصف الإمام علي عليه السلام لنفسه

"دراسة أسلوبية"

المدرس الدكتور
فارس حسن محسن السلطاني
جامعة الكوفة ـ كلية التربية المختلطة

عليٌ بلسان عليٍّ وصف الإمام علي عليه السلام لنفسه "دراسة أسلوبية"

المدرس الدكتور
فارس حسن محسن السلطاني
جامعة الكوفة ـ كلية التربية المختلطة

المقدمة:ـ

لقد شغل كتاب نهج البلاغة الدارسين أجيالا، واستوقف الباحثين قرونا، ونهل منه الأدباء دهورا، لم يزل يفتح الأذهان، ويوقد الفكر، ويلهم القرائح، ضاربا في عروض البلاغة، وميادين الفصاحة، ومقامات البيان، لم يشبع منه وارد، ولم يكتف منه طالب، أخّاذ بأسلوبه، باهر بنمطه، معجب بتناوله، فريد بوصفه، يصف الدقيق الخفي كما يصف البيّن الجلي، ويحكي الرقيق الطيب، كما يصف الخبيث المقرف، ما تزال العين تطلع فيه على محاسن الصور، وروائع الغريب، وشوارد المعنى، يبدأ كما ينتهي، ويستطرد كما يوجز، ويقدم ويؤخر لا يتغير فيه كيف، ولا يلحظ فيه خبط.

لقد ارتقى فيه أمير المؤمنين عليه السلام مرتقى لم يبلغه خطيب، ولم يصل إليه متكلم أريب، فتق المعاني، ودوّخ الألفاظ، وحلق في أفق اللغة،آخذا بزمامها فكانت له أطوع من الحديد لداوود عليه السلام وقد قال في ذلك (سلام الله عليه): " وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ " [1] فكان كما وصف، وأكثر مما نعرف.

ولم يزل الإمام مطلعا بكلامه الفرد العجيب، والجديد الغريب من أفصح القول وأعلاه، وأجوده وأنقاه، كلما تأمله متأمل، وأعاد فيه النظر متفحص،لذّ له وطاب، وطرب له فأعاد، فما وجده إلا ماء واحدا، وبيانا شاهدا أن الذي صدر عنه لا يحكم له إلا بأن كان القرآن مدرسته والنبي صلى الله عليه وآله

مدرّسه، كله يحكي عن بعضه، وبعضه معجز بفنه، وهو بعد مرآة لعلي عليه السلام يصور مآثره، ويشرح مرائره، ويبين مناقبه بلسانه (سلام الله عليه).

ومن جملة ما تضمنه النهج كلام علي عليه السلام عن نفسه، ومدى مظلوميته، وفضل أهل البيت، وخطابه مع عدوه، وإنصافه الناس من نفسه، كل ذلك يصب في رافد واحد ألا وهو الإمامة التي كان الإمام يشير إلى فضلها، وما يجب على الناس فيها من طاعة وولاء، وعلاقة الإمام بالدنيا التي شغلت مساحة واسعة في أوصافه وتشبيهاته لها.

ولقد كان هذا الموضوع عامل إثارة لي، حملني على تقصي بعض خطبه - سلام الله عليه - التي تقف بنا على هذه المضامين آنفة الذكر.

التمهيد:

١ـ في معنى الأسلوبية:

لقد كان لهذا المصطلح تعاريفه المختلفة باختلاف رؤية العلماء لهذا العلم "ويعود الالتباس بين كون الأسلوبية من المعارف المختصة بذاتها وكونها مجرد مواصفة لسانية أو منهج في الممارسة النقدية وذلك مع كل من (م. آرفاي ودولاس، وريفاتار).

يقول الأول: " إن الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب (كذا) طرائق مستقاة من اللسانيات"(٢).

ويقول الثاني: " إن الأسلوبية - تعرف بأنها منهج لساني"(٣).

أما (ريفارتار) فإنه ينطلق من تعريف الأسلوبية بأنها "علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميزة التي بها يستطيع المؤلف إثبات مراقبة حرية الإدراك لدى القارئ المتقبل والتي بها يستطيع أيضا أن يفرض على المتقبل

وجهة نظره في الفهم والإدراك فينتهي إلى اعتبار (كذا) الأسلوبية "لسانيات" تعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصوص"(٤).

ويرى (ابرامز) M.H.Ibrams في معجم المصطلحات الأدبية: "إن أفكار علم اللغة الحديث تستخدم للكشف عن السمات الأسلوبية أو الخصائص الشكلية التي يقال إنها تميز عملا معينا أو كاتبا معينا أو موروثا أدبياً، أو عصراً معيناً، وهذه السمات الأسلوبية قد تكون:

- صوتية: (الأنماط الصوتية للكلام، أو الوزن أو القافية)
- جملية: (أنواع التركيب الجملي).
- معجمية: (الكلمات المجردة ضد الكلمات المحسوسة، التكرار النسبي للأسماء والفعال والصفات).
- بلاغية: (الاستعمال المتميز للمجاز، والاستعارة، والصور وما إليها"(٥).

فالتحليل الأسلوبي يتعامل مع ثلاثة عناصر:

أولاً: العنصر اللغوي: إذ يعالج نصوصا قامت اللغة بوضع رموزها.

ثانياً: العنصر النفعي: الذي يؤدي إلى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل: المؤلف، والموقف التاريخي، وهدف الرسالة وغيرها.

ثالثاً: العنصر الجمالي الأدبي: ويكشف عن تأثير النص على القارئ والتفسير والتقييم الأدبي له(٦).

فماذا يقصد بالأسلوبية"؟

الأسلوب:

في لسان العرب " يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو

أسلوب، والأسلوب الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول: أي أفانين منه".[٧] وقال الخطابي:"الأسلوب هو الطرق والمذاهب وأودية الكلام المختلفة"[٨] وعرفه عبد القاهر بأنه:"الأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه"[٩] وقد ذهب ابن خلدون مذهبا آخر لعله أوسع مما مر فقال:" أنه المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه الكلام، وأن لكل فن أساليب تختص به ولا تصلح لغيره"[١٠] ولا أدعي أن هذه الصورة التي وقف عندها علماؤنا القدماء هي هي نفسها ما عند الغربيين الذي شاع عنهم بعد ظهور الآراء الجديدة لـ (سوسير ت١٩١٦م) ومن تابعه من تلامذته الذين رفضوا أن تكون اللغة جوهرا ماديا خاضعا لقوانين ثابتة.[١١] فظهر عندها مصطلح الأسلوبية (Stylistic).

واختلف الغربيون في تعريفها فهي عند "ريافتير": "كل شيء مكتوب وفردي قصد به أن يكون أدباً"[١٢].

ويعد (شارل بالي) الفرنسي النمساوي تلميذ (دي سوسير) "مؤسس المنهج البنيوي" من أوائل المؤسسين لهذا المنهج وتبعه (جاكوبسون) الذي عرف الأسلوبية بأنها "البحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانياً"[١٣].

ولم يغب عن ذهن عبد القاهر الجرجاني إشارته إلى الأسلوب في نظرية النظم، فالنظم عند الجرجاني يبدو أنه هو الأسلوب، ومن هذه النظرية بنى الاسلوبيون منهجهم الحديث "الأسلوبية" فأصبحت على مر الوقت علما قائما كغيرها من العلوم التي وضع لبناتها القدماء ولكنها توسعت في الدرس الحديث بما يوائم الحركة الأدبية والنقدية باتجاهيها الغربي والعربي، وقد تحقق أن عبد القاهر قد سبقه كثير من أدبائنا بدءا من الجاحظ ومن تلاه كابن قتيبة وابن المعتز وقدامة والآمدي وأبي الحسن الجرجاني صاحب "الوساطة"

والباقلاني وغيرهم(١٤).

لقد أصبح المنهج الأسلوبي لا يعتمد على الألفاظ وعلاقاتها بالجمل والتراكيب والقواعد النحوية فحسب بل " توسع مفهوم علم الأسلوب ليشمل كل ما يتعلق باللغة من أصوات وصيغ وكلمات وتراكيب فتداخل مع علم الأصوات والصرف والدلالة والتراكيب لتوضيح الغاية منه، والكشف عن الخواطر والانفعالات والصور، وبلوغ أقصى درجة من التأثير الفني، بل توسع أكثر من ذلك أخيرا ليشمل على علم النفس والاجتماع والفلسفة وعلوم أخرى شهدت دقة مناهجها ومدى صلاحيتها في إغناء المنهج الأسلوبي(١٥).

يقول د. عناد غزوان " وقد أدى الاهتمام بدراسة الأسلوب وتحليله لغويا على وفق معايير لغته أو فنياً على وفق المعايير الفنية، إلى ظهور ما يسمى بالأسلوبية اللغوية التي ترى أن الأسلوب قد يكون انزياحا أو انحرافا، أو عدولا عن السياق اللغوي المألوف في هذه اللغة أو تلك، أو قد يكون تكرارا للمثال، أو النموذج النصي الذي يهتم به الذوق العام أو قد يكون كشفا خاصا لبعض أصول اللغة ومرجعياتها ولاسيما في الوجه الجمالي للتعبير أو ما يسمى بالوجه البلاغي أو البياني"(١٦).

ومن هنا نستخلص بأن الأسلوبية إنما تعتمد اعتمادا كبيرا على الدراسات اللغوية التي تمهد لدراسة النص الأدبي، لأن الناقد الأدبي - على حد تعبير غزوان- قبل كل شيء يجب أن يكون لغويا جيدا لأنه" لا وجود لأي نص أدبي خارج حدود لغته"(٧) لذلك استقصت الأسلوبية في الطرح الأدبي الغربي اتجاهات متعددة، وضروب متنوعة من الذوق الأدبي الجديد الذي واكب حركات النقد الأدبي الغربي، والفلسفي.

ويمكن القول إن الأسلوبية تنبني على الأسس الآتية:

١ـ الأسلوبية الصوتية:

وهي التي تهتم بالأصوات والإيقاع والعلاقة بين الصوت والمعنى.

٢ـ الأسلوبية الوظيفية:

وتهتم بدراسة العدول أو ما يسمى بالانحراف أو الانزياح.

وتقوم على مبدأين:

أ- دراسة نصوص كثيرة تمثل أنواعاً أدبية مختلفة وأجناسا متعددة وعصورا بغية الكشف عن الآليات التي تتحكم في تكوين الأسلوب الشعري.

ب- الإفادة من نتائج علم النفس... فدراسة العمل الأدبي أسلوبياً يتطلب التحرك بمرونة قصوى بين الأطراف والمركز الباطني للنص، والوصول إلى تلك النتائج يتطلب إعادة قراءة النص مراراً.

٣ـ الأسلوبية التعبيرية:

وكان رائدها (بالي) الذي شق الطريق للتفريق بين أسلوبين أحدهما ينشد التأثير في القارئ والآخر لا يعنيه إلا إيصال الأفكار بدقة. وطور تلاميذه هذا الاتجاه عن طريق التوسع في دراسة التعبير الأدبي، فالكاتب لا يفصح عن إحساسه الخاص إلا إذا أتيحت له أدوات ملائمة، وما على الأسلوبي إلا البحث عن هذه الأدوات.

٤ـ الأسلوبية الإحصائية:

تقوم على دراسة ذات طرفين، أولهما: هو التعبير بالحدث، والثاني هو التعبير بالوصف، ويعني بالأول الكلمات أو الجمل التي تعبر عن حدث

وبالتالي الكلمات التي تعبر عن صفة، ويتم احتساب عدد التراكيب والقيمة العددية الحاصلة تزيد أو تنقص تبعاً لزيادة أو نقص عدد الكلمات الموجودة في هذه التراكيب، وتستعمل هذه القيمة في الدلالة على أدبية الأسلوب والتفريق بين أسلوب كاتب وكاتب.

فمثلاً كتاب " الأيام" لطه حسين تبين مثلاً أن نسبة الجمل الفعلية إلى الوصفية ٣٩٪ في حين أن نسبة تكرار هذه الجمل في كتاب " حياة قلم" للعقاد لا تتعدى ١٨٪، ومعنى ذلك أن كتاب الأيام أقرب إلى الأسلوب الانفعالي والحركي من كتاب العقاد الذي يميل فيه إلى الطابع الذهني العقلاني.

٥ ـ الأسلوبية النحوية:

تهتم بدراسة العلاقات والترابط والانسجام الداخلي في النص وتماسكه عن طريق الروابط التركيبية المختلفة، ومن هذه العلاقات: استعمال الضمائر والعطف والتعميم بعد التخصيص... وهذه العلاقات يلجأ إليها الكاتب لتنظيم جملة بعضها إلى جانب بعض مما يؤدي إلى تماسكها وترابطها[١٧].

أما موضوع الأسلوبية فهو الأسلوب الذي يصعب وضع تعريف جامع له[١٨] الذي يعتمد ثلاث ركائز مهمة هي المؤلف، والنص، والقارئ[١٩].

وبعد فأرى بلذة ما أنا فيه من شغف بالمنهج الأسلوبي أن الأسلوبية هي استيحاء للنص، وكشف عن سر جماله وخفوقه أحيانا بما أوتي الباحث فيه من علم ومهارة في استيفاء أدوات البيان على اختلاف دواعيه وأقسامه، وأدعي أنني أقف في هذه الدراسة على جانب من هذا المنهج الذي آثرت فيه الخوض في بحر من البلاغة التي نطق بها أميرها، وفتق أصول بيانها رائدها علي بن أبي طالب عليه السلام.

الإمام علي بلسانه:

لم يغب عن ذهن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يجوب عالم البلاغة واصفا حاكما مستعرضا كل ما أمكنه من صور يهتدي بها مستبصر إلى طريق الحق، وسائل عن معاني الهدى، ومتحير في طريق الضلالة، فكان أبرع ما وصف، وأصفى ما أجاب، وأبلغ ما دلّ.

ومن جملة ما شهده النهج ما شهد به علي عليه السلام لنفسه في التعريف بما يتناسب ومقام الإمام من الفضل الذي تميز به - سلام الله عليه – مما يدخل في الجانب العقيدي، والفكري، والاجتماعي، وهذا من أدب القرآن الذي نهل منه أمير المؤمنين عليه السلام وأفاد منه في بيان التعريف بذاته المقدسة؛ فقد نقل القرآن عن الصديق يوسف عليه السلام قوله ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٢٠] وقول هود عليه السلام ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢١].

ومنه ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في جواب سفيان " يجوز أن يزكي الرجل نفسه ؟ قال: نعم إذا اضطر إليه، أما سمعت قول يوسف: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٢٢]،وقول العبد الصالح: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٢٣]. وإلى ذلك أشار الإمام عليه السلام في إحدى رسائله لمعاوية:" ألا ترى - غير مخبر لك - ولكن بنعمة الله أحدث أن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء... أولا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين "[٢٤].

منزلته عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله:

حين يعرض "عليه السلام" لصباه وكيف اكتنفه رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: " وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل "[٢٥]. تأمل توازن الجمل في المستوى التركيبي في كلامه "عليه السلام"، فقد استعمل الإمام لذلك جملا فعلية بدأها بـ (علمتم) ثم توالت الصورة بأفعال أخر (يضمني)،(يكنفني)، (يَمسّني)، (يَشمّني)، (يمضغ)، (يلقمنيه)، (وجد). حتى يخيل إليك من تتابع الأفعال مشهدا حسيا لتلميذٍ بين يدي أستاذ شفيق آثر الفعل التربوي الهادف على الأوامر التي تصدر بالقول، إذ إنه أبلغ تأثيرا، وأقوى رسوخا، ثم إن الإمام جاء بالأفعال كلها تقريبا مع (ياء المتكلم) وفي ذلك مزية لاختصاصه "عليه السلام" بذلك الفعل وحده مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" دون غيره.

أما الجانب التصويري فقد كان الإمام بارعا في إيراد ما يناسب ذلك من طباق في كلمت (كذبة) و (خطلة)[٢٦] و(قول)، و(فعل) استوفى فيهما الإمام كل ما يصيبه الإنسان بجوارحه بقول أو فعل، موازنا بين الصيغ الصرفية في (فِعْلة) و(فَعْلة) و(فَعْل) و(فِعْل) ووقع ذلك دلاليا على السامع الذي يتشوق أن يسمع هذا التوازي في الألفاظ.

وعندما يعرض الإمام عليه السلام إلى علاقته بالدنيا فإنه يجعل من الدنيا مخاطبا له حس يسمع ويرى ويعقل ويقبل إيقاع عقد الطلاق " يا دنيا يا دنيا إليك عني، أبي تعرضت، أم إلي تشوقت؟ لا حان حينك هيهات غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها "[٢٧]. لقد بدأ الإمام "عليه السلام" بالنداء ثم

كرّره حتى يوظفه من حيث الدلالة وهو يفرش ذهن السامع بالانتباه إلى أمر مهم في محاورة بينه وبين الدنيا وقد عمد إلى الاستعارة إذ شبهها بالمرأة وأشار إليها بشيء من لوازمها وهو وكأنها لم تألُ جهدا في مجاذبته وما تصنعه من إغواء وإغراء بمن يخطبها، وما أكثر الخاطبين ولكن الإمام هنا قد صور مفارقته للدنيا بما حمله لفظ (طلاق) و(ثلاثا) وأنه ليس ممن قبل تعرضها وتشوقها.

لقد برع كعادته في سبك العبارة من حيث التوازن الدقيق للجمل، فعلى صعيد الأفعال فقد استعمل صيغة (تفعّل) في (تعرّض) و(تشّوق)وجاء بما يناسبهما من حروف الجر، فمع الأول (بي) ومع الثاني(إليّ) وألحق بهما ياء المتكلم وكأنها اختصته أكثر من غيره بذلك، وناسب هذا كله تقدم الاستفهام الإنكاري الذي هو بمعنى النفي[٢٨] وذاك غاية في البعد عن الدنيا.

وبينما يصل الأمر إلى المبادئ مما يتصل بجانب الإمامة ومسؤوليتها لا يرضى أن يتنازل الإمام عن اليسير من ذلك، يقول لابن عباس وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه عليه السلام: " لك أن تشير علي وأرى، فإن عصيتك فأطعني"[٢٩]. وقال رادا على طلحة والزبير: نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر فقال عليه السلام: لا، ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة، وعونان على العجز والأود "[٣٠]. وهنا كما في أكثر المواطن لا يكتفي الإمام بجملة واحدة دون أن يعطف عليها جملة أخرى تثبت ما يشير إليه، وتؤكد إنجازه البياني الرائع، فجملة (شريكان في القوة والاستعانة) و(عونان على العجز والأود) تتحدثان عن نفسيهما بألفاظهما وكأنهما يمين إنسان وشماله، فلفظ (شريكان) مقابل للفظ (عونان) ولفظ (قوة واستعانة) مقابل (عجز وأود) وهو من الصور البلاغية المثيرة إذ جاء بهذه الألفاظ المتضادة في مقابلة خلقت صورة ذهنية ونفسية متعاكسة خاطبت عقل المتلقي ووجدانه في آن معا، فصلت بين ما هو حسن وقبيح من جهة، وبين حدود ممارسة العمل مع الإمام "عليه السلام"

من جهة أخرى.

وحين يتحدث - سلام الله عليه - عن منهج اتباعه وسبيل الوصول به إلى الحق يقول " هلك فيّ رجلان: محبّ غالٍ ومبغضٌ قالٍ " [٣١]. وهذا أيضا نظير آخر للمقابلة التي هي من أقسام الطباق كما أقره القزويني[٣٢]فكانت بين اسمي الفاعل من الرباعي (أحب) و(أبغض) ووصفيهما من الثلاثي (غلا) بمعنى تشدد وتصلب حتى جاوز الحد[٣٣]، و(قلى) بمعنى أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه[٣٤]

لقد بيّن الإمام عليه السلام بذلك في أكثر من موطن عن حاله التي جعله الله ورسوله فيها، وما يجب على الرعية معه، فهو يضع نفسه مواضعها التي أرادها الله وما ينبغي للرعية معه. ونحن نحاول الوقوف على هذه الجوانب المتميزة والمضيئة في حياة الإمامة، ومنهاج الرسالة، وما به قوام الدين، وصلاح العباد.

وفيما يأتي بعض ما حاول به أمير المؤمنين عليه السلام الكشف به عن نفسه، والتعريف بها، بما خفي على الناس منه الكثير كما صرح به ذات يوم " ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجا،وثبت في قلوب كثير منها ما كان مضطربا، وقالت لولا أنه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين عليها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول قوم آخرين، فكنا ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته "[٣٥].

فضل أهل البيت:

لم يكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أول من صرح بفضل أهل البيت عليهم السلام بل إنه منهج قرآني، وسنة نبوية، فقد ورد عنهم سلام الله عليهم أن ربع القرآن

فيهم، قال الإمام الصادق: " نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام "[٣٦] وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: " نزل القرآن أثلاثا: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام"[٣٧]، مما يدلك على خطر أهل البيت الذين نص عليهم عليهم الذكر الحكيم بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣٨].

وحين يعرض أمير المؤمنين عليه السلام لمناقب أهل البيت عليهم السلام فهو يشير إلى مكارمهم التي انمازوا بها من سواهم، ومن أهمها ما جعله الله لهم من منقبة الخطابة التي بها أصبحوا أمراء الكلام، قال"عليه السلام" بعد أن أقدم أحدهم على الكلام فحصر " أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ وَلَا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ "[٣٩].

حقا أهنا مما تستوقف الباحث وهو يراجع قوله عليه السلام (أمراء الكلام)، وكيف استحق أهل البيت هذه الميزة التي عرف بها صغيرهم وكبيرهم ممن شهد لهم عدوهم بأنهم "زقوا العلم زقا " [٤٠] ولماذا ذكر كلمة (أمراء) دون غيرها من قبيل(رؤساء) أو(قادة) وسواهما؟ وكان الإمام قد أخذ هذا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فهم ليسوا أمراء الحل والعقد فحسب بل هم أمراء الكلام كذلك، قال (ابن ميثم) في شرحه للنهج " استعار لفظ الأمراء لنفسه ولأهل بيته ملاحظة كونهم مالكين لأزمة الكلام يتصرفون فيه تصرف الأمراء في ممالكهم"[٤١]، ثم انظر كيف استعار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للكلام بأنه شجرة فيهم تنشبت عروقه، وعليهم تهدلت غصونه؟، فلم يغب عنه الاستعمال القرآني وهو يصرح بأن الكلمة الطيبة شجرة أصلها

ثابت وفرعها في السماء ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٤٢]، فقد روى ابن عقدة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام " أن الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وفرعها علي عليه السلام، وعنصر الشجرة فاطمة، وثمرتها أولادها"[٤٣] والإمام في ذلك يبين من حيث يدرك السامع أن من فضل أهل البيت عليهم السلام على الناس جميعا قدرتهم على الكلام البليغ الذي يرتبط بكلام الله تعالى فيكون له من الإعجاز ما ليس لغيره.

ثم انظر لما جاء به الإمام من فعلين ناسبا مقام اتصاف الكلام بالشجرة، وهما (تنشّب) و (تهدّل) وهما على صيغة (تفعّل) [٤٤]التي تأتي للمطاوعة، وهي لا تتعدى إلى مفعول؛ لأنها إخبار عما تريده من فاعلها[٤٥]، ومعنى تنشّب علق وثبت، ومعنى تهدّل تدلّى فأظلّ، راسما أمام السامع صورة الكلام العالي، والصياغة الفريدة وكأن أهل البيت -ع- أصل تلك الشجرة، ومعدنها، وأساسها.

ويقول في وصف أهل البيت عليهم السلام ثانياً: " نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي"[٤٦]،وعلماء اللغة يفسرون النمرقة بأنها الوسادة" استعار عليه السلام لفظ النمرقة بصفة الوسطى له ولأهل بيته باعتبار كونهم أئمة العدل يستند الخلق إليهم في تدبير معاشهم ومعادهم، ومن حق الإمام العادل أن يلحق به التالي المفرط المقصر في الدين ويرجع إليه الغالي المفرط المتجاوز في طلبه حد العدل، كما يستند إلى النمرقة المتوسطة من على جانبيها "[٤٧]، والإمام حين يستعير لفظ النمرقة هنا لما تحمله من دلالة استعمالها في ساعة الراحة التي يهدأ فيها الإنسان من تعب وطيش، قد يسلبه صوابه، فلابد له من مراجعة نفسه والسؤال عما هو عليه من رأي ومذهب، وهنا يتجلى أثر أهل البيت عليهم السلام حين يسألون عن حالهم، ومرتبتهم التي رتبهم الله بها، وكيف يدلون الناس إليها ببيان لا يدفع، وحجة لا تغلب.

ولا يغيب عن القارئ أن الإمام أتى بالنمرقة في هذا السياق لما لها من دلالة قرآنية وأنها وسائد أهل الجنة: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۞ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۞ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾[٤٨] فهو مما يليق بهم، ولم يستعمل الإمام هنا كلمة (وسادة) التي استعملها في مكان آخر[٤٩] لما ذكر آنفا، وهي التي تصلح للراحة ورفع المنزلة[٥٠] على غير ما للوسادة ثم لجرسها الموحي بالترف والنعومة وأنها مما يصلح لمجالس المكرمين، فتتابع صوت (النون) و (الميم) و (الراء) و (القاف) شكل سلما صوتياً سلساً أوحى بذلك.

ومرة أخرى حين يصف الإمام نفسه من الآخرين فإنه يقسمهم على قسمين: مؤمنين، ومنافقين، وعلي عليه السلام عند المؤمن حال مختلفة عنها عند المنافق، فحب علي دليل إيمان حتى لو ضرب علي عليه السلام خيشوم المؤمن " لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ يَا عَلِيُّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ"[٥١]، وبالعودة إلى معجم كلمات الإمام نلاحظ أنه ينهل من القرآن في توصيف المؤمن" لأن الإيمان وبغضه "عليه السلام" لا يجتمعان، لأن بغضه كبيرة وصاحب الكبيرة عندنا لا يسمى مؤمنا "[٥٢] ولو ضربه على خيشومه وهو أقصى الأنف[٥٣]، فعمد الإمام إلى افتتاح الكلام بأداة (لو) وهي أداة امتناع لامتناع ومن معانيها تقييد الشرطية بالزمن الماضي وبهذا الوجه فارقت (إن) فإن تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل ولهذا قالوا الشرط بـ(إن) سابق على الشرط بـ (لو) [٥٤]، وكيف قابل الإمام بين (ضربت) و(صببت)، و (خيشوم المؤمن) و (الدنيا بجماتها)، ففي الأولى منتهى الاختبار في صدق الحب، وفي الثانية منتهى الإغراء في استمالة القلب.

ثم صور الإمام "عليه السلام" في استعارة رائعة كلمة (جمّات) ومفردها (جمّة) وهي المكان الذي يجتمع في الماء[٥٥] مما يشير إلى شدة تعلق المؤمن بعلي عليه السلام بما يلاقي من أذى في حب أمير المؤمنين عليه السلام، إذ حبه علامة الإيمان، وعنوان صحيفة المؤمن[٥٦].

ولو انتقلنا إلى الجانب الآخر الذي يمثله المنافق وجدنا المحرز المادي الذي يستريح إليه المنافق، وهو كثرة المال الذي عبر عنه الإمام بالدنيا بجمّاتها ويعني بها كل ما فيها من خير وفير، ومال كثير وهو أكثر ما تشترى به ذمم المنافقين كما وصفهم القرآن: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾[٥٧] وفيها إشارة لشدة بخلهم، فهم مع ذلك لا يمكنهم حب علي عليه السلام لأن حبه من حب رسوله وهو بعد من حب الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٥٨] وهم فاقدون أصلا لعامل الإتباع.

الخطبة الشقشقية:

لقد بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أيما مبلغ وهو يصف حالة الأمة الإسلامية بعد رسول الله طيلة خمس وعشرين سنة، أي إلى اليوم الذي تزاحمت فيه الناس وتداكّت على بيعته - صلوات الله عليه - حتى وطئ الحسنان، وشق عطفاه، ورجع أمير المؤمنين بقراراته الحقة، لم تغيره ولاية، ولم تبدله بيعة، فقد بدأ الخطبة بالذي بني عليه الفكر الشيعي من معنى الخلافة إذ هي مقام مجعول من الله ليس للبشر مدخلية فيه، ولا اختيار، فاستعار لفظ القميص للخلافة، ولم يصرح بها للعلم بها[٥٩]، ولعل ذكر القميص هنا - والله أعلم - جاء لتزامن رفع قميص اتهم أمير المؤمنين عليه السلام أنه ممن شرك في دم صاحبه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالإمام عليه السلام من خلال صيغة (تفعّل) والتي من معانيها الخمسة عشر التلبس بالمسمى المشتق[٦٠] فهي مغصوبة وصاحبها متقمص لذا

بين - سلام الله عليه - محله من الخلافة بما عرفه عنه خصومه أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يشير بذلك إلى مقام الإمامة وأنه سلام الله عليه في مكان لا يستطيع أحد أن يصل إليه فهو يريد أن يقول:" إني لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير إليها "(٦١)، ويتمثل جمال التعبير في وصف مكانته في كونه مما لا يصل إليه طير أو سيل، فالفعلان (ينحدر) و (يرقى) جاءا في سياق بياني مثالي قد أغرق في البعد عن التناول، فحين يصف الإمام نفسه بأنه القطب من الرحى، وهي صورة نابضة بالحياة التي يشير فيها الإمام "عليه السلام" إلى مكانته بحيث يدور حوله كل شيء كما تدور الرحى حول قطب لها ليثمر الدوران عن إنجاز؛ يعود ليبين لنا عن علو مقامه الكريم وأنه لا يصل إليه احد مهما بلغت قوى دفعه، فالسيل الذي يغطي كل شيء ليس بمقدوره أن يصل وسينحدر، والطير المتمكن بجناحه أن يعلو لا يرقى، فمكانته محفوظة لا يجاريه فيها أحد، وقد أراد من كل ما جاء به أنها ممتنعة على غيره، ولا تصلح إلا له.

ثم ماذا كان منه لقد سدل دونها ثوبا مما يشير إلى معارضته الصامتة التي تبناها وكأنه قد انزوى في داره وأرخى سترا بينه وبينهم، وطوى عنها كشحا غير آبه بما هُدر من حق، وهضم من مقام، وقد جاء بجملة (سدلت دونها ثوبا) و (طويت عنها كشحا)، كعادة الإمام "عليه السلام" في روعة أدائه البياني مصورا من خلالهما غناه عما استأثروا فيه، فالجملتان من الكناية وقد كنى بهما الإمام عن غناه عما استأثروا فيه، وهي غاية المبالغة في الإعراض.

ويظل منتظرا حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى صاحبه كيف استعمل الإمام الفعل (أدلى) وهو مما يستعمل في إخراج الماء من البئر بواسطة الدلو، قال تعالى:

﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾[٦٢]، وهو مما يترتب عليه ضياع حق، وانفصام عرى شريعة هتك أخطر جانب من حريمها، حتى أصبح يُدلى بها بين فلان وفلان بلا حجة ولا مشورة.

ويستطرد الإمام عليه السلام حال الثاني وما جرت خلافته من ويلات بعد هن وهن،" فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا "[٦٣] وهو بهذا الوصف يوقظ في النفس أسئلة كثيرة عن مدى شرعية الخلافة وهي مقام إلهي من جهة، وما حملت أيامه من تبعات انتهت بمقتله فقد" مني الناس لَعَمْرُ اللَّه بِخَبْطٍ وشِمَاسٍ وتَلَوُّنٍ واعْتِرَاضٍ[٦٤]. فما كان من الإمام إلا الصبر وأي صبر تمثل بطول مدة وشدة محنة، وما آلت إليه الأمور من استخلاف ستة يقول الإمام: زعم أني أحدهم، والزعم هنا خلاف الواقع كما يشهد بذلك أهل اللغة، قال ابن السكيت: "يقال للأمر الذي لا يوثق به مزعم أي يزعم هذا أنه كذا، ويزعم هذا أنه كذا"[٦٥].وفيها إشارات وإشارات إلى عظيم المؤامرة، على عليٍ سلام الله عليه، ثم تفكر في كيف كان الناس في خبط وشماس واختيار الإمام لهاتين الكلمتين فالخبط مأخوذ من خبط البعير الأرض بيده خبطا: ضربها ومنه قيل: خبط عشواء، وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبط إذا مشت[٦٦] والشماس "شمس الفرس أيضا شموسا، شماسا، أي منع ظهره"[٦٧] لقد جمع الإمام بين صفتين تميز بهما حيوانان كانا وسيلة النقل والقتال المهمتين يومئذ مما يرسم صورة فريدة عن غلظة وبداوة أحالت كل شيء إلى فوضى ليس فيها خير.

ثم يقول بعدها:" فَيَا لَلَّه وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا"[٦٨]، أخذ الإمام "عليه السلام" بالتعجب المجرد عن القسم[٦٩] وفيه بيان ما أدى إليه تقسيم الشورى، التي آلت إلى مؤامرة ظل الإمام قائما عليهم فيها بالحجة، فعاد كما عهد عنه أن يبن حال إسفاف وطيران في جملتين متوازنتين

(أسففت إذ أسفّوا) و (طرت إذ طاروا) في صورة من المقابلة الكاشفة عن موضوع البقاء على خط السقيفة.

ثم يصور الإمام حال الثالث وما فعله بنو أبيه وما كانوا عليه من نهب ونهم وقد خضموا مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع وكيف جمع عليه السلام بين خضم ونبتة وهو غير قضم إذ يوحي صوت القاف بالشدة، بينما يوحي الخاء بالرخاوة " فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء... والقضم للصلب اليابس... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس"[٧٠]. وفي ذلك دلالة من الإمام على جرأة القوم على أكل مال الله، وأموال الناس سهلا طريا.

ثم يمضي - سلام الله عليه- واصفا حاله بعد تلك الفتنة الكبيرة يوم هرعت إليه الناس " فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ"[٧١] فشبههم بعرف الضبع "والضبع ذات عرف كثيرة، والعرب تسمي الضبع عرفا لعظم عرفها"[٧٢] وهو تشبيه أريد به كثرتهم حوله وبانثيالهم إليه وباجتماعهم حوله كربيضة الغنم وكلها أوصاف تدل على فزع الناس إليه في محنة لم تمر بالمسلمين مثلها حملها أمير المؤمنين عليه السلام، حتى وطيء الحسنان وهما العظمان اللذان يليان المرفق [٧٣] وهو أنسب كثيرا ممن ذهب إلى أن معنى الحسنين هما الحسن والحسين عليهما السلام فالاجتماع مهما كان فما في الناس جرأة على وطيء الحسنين، ومناسبة أخرى هي ذكر الإمام للعطفين، وكلها تشير إلى حقيقة واحدة ذكرناها من تجمهر الناس حوله وقد قال في مقام آخر " فتداكّوا عَليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء "[٧٤]. والإمام بهذين الوصفين (ربيضة الغنم) و(الإبل الهيم) قد أوجز في تشبيهين رائعين فـ " ربيضة الغنم الرابضة وإنما شبههم بالغنم لقلة

الفطنة عندهم وبعد القائل منهم، والعرب تصف الغنم بالغباء وقلة الذكاء"(٧٥)، والإبل الهيم لا تقل صورة عن سابقتها الموغلة في البداوة وبه قد وصف القرآن أهل جهنم فقال: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ بما يوحي إلى السامع أن المجيء في الغالب لم يكن عن وعي بقدر ما كان ثورة على ظلم.

ويستطرد سلام الله عليه وهو يسجل ببراعة ما لحقه من الهموم بعد أن قام بالأمر من مقارعة للناكثين والقاسطين والمارقين، وكيف حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها، وهو يؤطر كل ذلك بزهده الكبير والأصيل عن كل هذه المطامح التي غلب حبها على كثير من الناس، ولكن هم الإمام إقامة الحق وإزهاق الباطل "أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ "(٧٦)، بدأ الإمام "عليه السلام" تقرير الحقيقة بالقسم الذي تابع فيه رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" " فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نفس أبي القاسم بيده والذي فلق الحبة وبرأ النسمة"(٧٧) مما يدلك على اهتمام الإمام بما يقسم عليه من أمر عظيم، والموازنة في الأسلوب واضحة في (فلق الحبة) و (برأ النسمة)، وإتيان الإمام بالأداة (لولا) التي تفيد امتناعا لوجود، واستعانة الإمام "عليه السلام" بالمثل المعروف (ألقيت حبلها على غاربها) "أي تركتها وتخليت منها لأن الرجل إذا ألقى زمام الناقة على غاربها فقد بدا له في إمساكها... ولهذا صارت هذه اللفظة من كنايات الطلاق والفرقة"(٧٨).

وقد حلا للإمام أن يعضد المثل كعادته في تثبيت الشيء فجاء بـ (سقيت أولها بكأس آخرها).

يا له من عز، ويا له من إباء، حين يكون كل ما في يده مما تنازع عليه الناس من سلطان ودنيا في نظره صورة يصورها الإمام بما تنفر منه طباع الإنسان في هوانه، وضآلته في نظره، إنها عفطة عنز، تلك الفضلات التي ترميها الشاة أو العنزة من أنفها، وحتى هذه الكلمات التي صدرت منه - صلوات الله عليه - كانت شقشقة هدرت ثم قرت، ولم يكن يعجب الإمام أن يواصل ما قاله حين طلب إليه (ابن عباس) أن يطرد الخطبة من حيث أفضى، فلم يكن من الإمام حرص على دنيا ولا طمع في خلافة، بقدر ما كان من الدلالة على الحق وأهله، وأنها مع كل ما حملته من حقائق ثمينة فهي شقشقة " وهي شيء كالرئة يخرجه البعير إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فإنما يشبه بالفحل "(٧٩)

خطابه مع عدوه:

لقد بدا لي وأنا أتتبع كلامه عليه السلام أن الإمام كان يؤصل لمدرسة جديدة في الرد على خصومه، حتى يكون الذي يريده في حاله تلك نمط من السلوك التربوي الذي يفضي إلى حجة وعقل، لا إلى سباب وتعنت، يقول وقد سمع أصحابه يسبون معاوية: " إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ "(٨٠). إنه المنهج القرآني الذي تربى عليه بين يدي معلم الإنسانية رسول الله ﷺ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾(٨١)، "أي يبلغ إلى قلوبهم ألمه."(٨٢)

لقد كان الإمام بليغا في وصفه للدواء الذي يراه مناسبا "دلالة على فضل

البلاغة، وحث على اعتمادها بأوضح بيان، لكونها أحد أقسام الحكمة، لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج إلى التفسير باللفظ الوجيز، مع حسن الترتيب"(٨٣)

وحين يتحدث الإمام عما يعرف بدهاء معاوية فإنه لا يرى أن معاوية أدهى منه ولا أمكر " واللَّه مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ " (٨٤)، وهو يعلم أن الغدر ليس من صفات بني هاشم، فضلا عن كونه من صفات الإمام، وأن كان قد قال في موضع آخر:" الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ "(٨٥) ولكنه كما علمه القرآن، ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾(٨٦).

وهو ما سنّه أمير المؤمنين عليه السلام في حياته من قبل مع عثمان بن عفان يوم عرض له ما عرض من بني أبيه كما سلف ذكره " مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً "(٨٧). ثم انظر في ظلال معاني هذا الكلام كيف كان الإمام حريصاً على مقام الخلافة وإن لم تكن به، فكانت همته منصرفة إلى الدفاع عن عثمان حتى خشي أن يكون آثما، ثم ما أحلى قوله عليه السلام جملا ناضحا وهي صفة أراد منها الإمام أن يرسم صورة الانقياد الذي أراده له عثمان من غير أن يلتفت إلى أخطائه التي جرّت عليه ما جرّت " إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ "(٨٨)، لقد استعمل الإمام أفعالا ماضية ثلاثة وهي (انتكث وأجهز وكبا) وكل منها يشير إلى اندفاع وعجلة من صاحبها، خلفت وراءها أفعالا ثلاثة هي حصيلة انتكاث وإجهاز وكبو.

وأما شكواه من قبيلته (قريش) فقد كانت صريحة إذ يقول:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَئُوا إِنَائِي

وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ"[٨٩]، فانظر كيف اختار الإمام سيل كلمات وافقت الغاية، وواءمت المطلوب، فهو يستعدي الله على قريش لأنها قطعت الرحم وقد لعن الله قاطع الرحم في القرآن ثلاث مرات[٩٠]، وبعد فقد أكفؤوا إناءه وكفأ مثل أكفأ وزعم بعض اللغويين أنها لغة نادرة[٩١]وفيه إشارة إلى غمز الحق، وفي ذلك غاية الإفراط في الجفاء والإقصاء حيث قطع الرحم، واغتصاب الحق.

ثم كيف رشح الإمام من الألفاظ ما يوسع أمام الناظر صورة الغبن والتمادي في الحقد، فبعد قطع وأكفأ وأجمع وفيها وجهة واحدة من المنازعة ضد الإمام وكل واحد منها يشير إلى مشروع مقاطعة فقد أسمعوه أنه غير قادر على حقه، فهو بين خيارين الصبر مغموما، أو الموت تأسفا وهي حالة رائعة من المزاوجة بين الصبر الذي يستتبع الغم، والموت الذي يستتبع الأسف،وهو منهج قرآني إذ مع الصبر فرج والقرآن في موضعين جعل بعد الغم نجاة ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾[٩٢] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾[٩٣]بما رآه الإمام من عاقبة الصابرين وهو منهجه، والأسف الذي لم يكن الإمام ليأسف على حطام زائل ودنيا مولية. ثم إنه لم يجد في تلك الحال رافدا ولا ذابا ولا مساعدا، وصيغ اسم الفاعل التي جاءت من ثلاثي ورباعي التي استعملها الإمام تشير إلى حال التخلف عن الإمام والخذلان الذي أصاب الناس عن رفد أو ذب أو مساعدة سوى أهل بيته الذين ضن بهم الإمام عن المنية.

وحين عالج الإمام نفسه لم يجد إلا الصبر على القذى والشجى والعلقم

وحز الشفار وكيف زاوج بين هذه الأدواء ومحال قيامها فالقذى للعين والشجى للريق والعلقم للحلق والقطع للقلب، وكأن الهم قد أخذ بمجامع شعور الإمام، ومطاوي أحاسيسه.

إنصافه الناس من نفسه:

لقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام نفسه، وحاله، ودنياه فكان بارعا كما عهدناه، يقف مستلهما القرآن والسنة، يتقلب فيهما مستزيدا مبتكرا يفتق من المعاني ما لم يألفه سامع، ولم يشهده ذاكر،" وَاللَّه لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ "(٩٤).

إنها نفس علي عليه السلام التي عرفتها الناس وقد راضها أي رياضة فكان أن قدم القسم بالله أولا ثم بلام التوكيد في مستوى تركيبي اختاره الإمام في ضمن سياقات تقريرات حقائقه ليبي اختياره المفترض لمكاره الحياة من مبيت على حسك السعدان على معصية الله وهو مستوى تصويري من الكناية عن خشونة المكان، إذ إن هذا النبت الصحراوي ذو أشواك، لا يطيب معها المشي فضلاً عن النوم، ولا يكتفي بذلك حتى يمضي مشددا على حاله من استقبال الشدائد، حتى يصل الأمر إلى الجر في الأغلال على حال من التقييد، وكل ذلك في ظلم بعض العباد، وهو يشير - سلام الله عليه - إلى ما يراه من ظلم في أيام حياته، وتعدٍ على الآخرين، الذين كان الإمام يتأذى لما يراه من آلامهم،" روى مجمع التيمي، قال: كان علي عليه السلام يكنس بيت المال كل جمعة، ويصلي فيه ركعتين ويقول: ليشهد لي يوم القيامة"(٩٥)، وهذا التوازن الرائع بين الاسمين (حسك السعدان) و (الأغلال) والفعلين (أبيت) و (أُجرّ) واسمي المفعول (مسهّد) و(مصفّد) يوحي إليك بالصورة الفنية الموغلة في البعد عن إتيان ذلك الشيء لسوء عاقبته، وما كان من علو همته "عليه السلام" في

النظر إلى الآخرة وقد جرّ فيها لنفسه ظلما بغصبه لما سماه بـ (حطام)، مستزيدا من القرآن ذلك وهو يقول: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾(٩٦) وهو النبات اليابس الذي لا حب فيه أو هو فتات التبن والحشيش(٩٧).

ولم يكن - سلام الله عليه - مداهنا حتى مع أخيه عقيل " وَاللَّه لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ (٩٨) " إن الإمام حين يورد لحال عقيل في صورة توحي بالإملاق الشديد الذي وصل إلى ولده من شعث شعور وغبر ألوان حتى كأنه صبغت بالعِظْلِم وهو لون أسود.

وحين يستميح عقيل أخاه عليا من البُرِّ صاعا لا أكثر، يعمد الإمام إلى إخراج صورة ترتسم فيها معالم حسية لجزاء عمل الغاصب للحق الظالم للعباد، في استحضار لنار الآخرة كي يقربها من نار دنيوية في إحماء حديدة قربها منه، ولعل الإمام عليه السلام لم يفعل ذلك وإنما مثل له ليكون أبلغ في الصورة وهو من منهج القرآن الذي يذهب إليه بعض المفسرين في مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(٩٩) " والمعنى لو كانتا مما يقولان لقالتا "(١٠٠) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾(١٠١) أنها لو كن يشفقن ويأبين لأبين "(١٠٢).

ثم يمضي الإمام ليصور جانبا من عواقب الذين يحاولون أن يداهنوا عليا في دينه، فيقول: " وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا "(١٠٣).

لله درّ علي حين شبه تلك الهدية بما قد عجن بريق حية،أو، قيئها وذاك ما لم يدر في خلد، ولم يكن في بال في جعل الصورة وقد حملت من القرف حتى قد جعل النفس في حال من الانكماش أمام طعام قد قاءت فيه حية، والإمام دقيق في استعماله حية بدل أفعى وثعبان التي لم ترد في خطبه في نهج البلاغة مطلقا، وذلك لما يوحيه جرسها من حركة وانسياب، وخبث وانسلال، فهي متحركة أمام العين بأبشع منظر، وأغرب تصوير، لا تكاد تنفصل عن الدهشة، وعن روعة المشهد الحسي المقرف الذي ازداد شناعة عجنها بقيىء الحية أو ريقها.

لقد رد تلك الهدية ولكن بأيّ ردّ، " أَعَنْ دِينِ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ"(١٠٤) إنها روح الأولياء الذين استغنوا بالله، فلم يمكن لدنيا مهما طالت وعرضت أن تنال من تقواهم لأن ما فيها متاع الحياة الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(١٠٥) لقد والى الإمام "عليه السلام" بصفات فرق فيها بالألفاظ فجاءت بما توحي الألفاظ بحسب وزنها رائعة دقيقة (مختبط) و (ذو جنة) و (تهجر) وكلها توحي بأن هذا الفعل قد سار صاحبه فيه على غير هدى طمعا في استمالة الإمام.

ثمّ يضرب المثل الأروع في ورعه الذي يبين عدله. وتجافيه عن الظلم، وبعده عن الأذى، " وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ"(١٠٦) وهي صورة رائعة وصف الإمام فيها نفسه، ولم يحتج الإمام أمام الناس لبينة على ما يقول وقد عرفوه بمدرعته التي رقعها حتى استحيا من راقعها" وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَ لَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ اغْزَبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى" (١٠٧).

خطابه مع الدنيا:

شغلت الدنيا مساحة واسعة من وصف الإمام، وما أكثر ما حذّر منها وخوّف. ونظر في عواقبها وعرّف، وقد بلغ من معرفته بحالها أنه إن كانت قد تزوجت بأناس كثيرين وكان لها كل يوم زوج، وعدت عليا من أزواجها، فقد بدا للإمام أن يطلقها ثلاث طلقات لا رجعة فيها، " يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكِ عَنِّي أَبِي تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ لَا حَانَ حِينُكِ هَيْهَاتَ غُرِّي غَيْرِي لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا "[١٠٨] إن الإمام يريد أن يشير في هذا وسواه إلى عظيم ما جرّت الدنيا به أهلها، واستنزلتهم إلى مهاويها، وضاعوا في متاهاتها، فهم بين متحير لا يدري كيف يثوب إلى رشده، وبين ضال قد ركب هواه، وجبار قد أخذته العزة بالإثم.

أما هو عليه السلام فلم تكن الدنيا ليشغله حلوها الفتّان، وسرابها الخدّاع، حتى ابتدرها بالطلاق الذي لا رجعة فيه. وليس بين يديه إلا النظر إلى طريق الآخرة الذي جعله يتأوه لكثرة ما فيه من عقبات " آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَطُولِ الطَّرِيقِ وَبُعْدِ السَّفَرِ وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ "[١٠٩] ابتدر الإمام بالشكوى بكلمة (آه) وهو اسم فعل مضارع بمعنى أتوجع[١١٠]، " ومعاني أسماء الأفعال أمرا كانت أو غيره أبلغ وآكد من معاني الأفعال التي يقال إن هذه الأسماء بمعناها"[١١١] وهو يحاكي سير الأنبياء، قال الله تعالى في وصف إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، (لذلك كان ينبغي الاستعداد لليوم الذي فيه ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[١١٢]، وهذا التعبير الذي ابتكره أمير البيان في تشبيه الدنيا بامرأة وأنها بما أغوت سواه واستهوته فإنه قد بادر إلى نزع يده منها بالطلاق الذي لا رجعة فيه. وهذه الاستعارة للفظ الطلاق فيها إيحاءات كثيرة يمكن للمتأمل أن يقف عندها؛

فالإمام لا يريد ادعاء أنه ليس من أبناء الدنيا وممن جفاها، بل هو حين طلق فقد أشعر أنه كانت بينه وبينها علقة كما لغيره من الناس، ولكن حين تتمادى الدنيا بأزواجها وينقطعون إليها فتقهرهم وترمي بهم في مزالقها، ويخرجون منها مكرهين تلهج ألسنتهم بعبارات الندم على ما فرطوا، راعى الإمام ذلك اليوم الذي خشي فيه من مغبة سوء العاقبة " وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِه آثَارُهَا وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ "[١١٣].

ثم انظر إلى حضور الآخرة في عين الإمام "عليه السلام" من استعمال (غد)، و (جدث) (وحفرة) وهما من استعمالات القرآن، فقد سمى يوم القيامة (غدا) في موضعين[١١٤] و(جدث) بمعنى القبر استعملت جمعا (الأجداث) في ثلاثة مواضع[١١٥] (وحفرة) في موضع واحد[١١٦].

وحين يصف القبر فهو يصفه وصف من رقد فيه، وشعر بهوله فكانت له ألفاظ (أضغط) و(سدّ) و(حجر) و(مدر) و(تراب متراكم) وكلها توحي بهول النزول، ومرارة الحال، ووحشة المحل، وضيق المرقد، وظلمة المكان، وانقطاع النزيل عن عالم الدنيا، ثم يعرض عن كل ذلك برياضة نفسه وصولا للأمان يوم الخوف الأكبر وقد سماه القرآن (الفزع الأكبر)[١١٧] وبينهما فرق لحظه الإمام يوم استعمل الخوف بدل الفزع في هذا الموضع قال الراغب:" الفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع ولا يقال فزعت من الله كما يقال خفت منه"[١١٨] لاسيما أن الآية التي جاء فيها لفظ الفزع كانت في مورد بشارة للمؤمنين ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١١٩].

فسلام عليك يا أمير المؤمنين، يوم ولدت، ويوم، علّمت وربيت، ويوم استشهدت، وأنت حي خالد في ضمائر الأحرار والصالحين.

الخاتمة:

لقد بدا من خلال هذه السطور المتواضعة منهج جذاب في حديث المرء عن نفسه، وأي منزلة تستحق، ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام بارعا في وصف نفسه، غير مبالغ، ولا مقصر بل كان في حال تعريفه بحقه منصفا بحجة، وفي حاله مع عدوه مرشدا بعزة، وفي ذكره فضل أهل البيت عليهم السلام هاديا مهديا، وفي إنصافه الناس من نفسه إماما عليا، وحين يشبه الدنيا وحالاته معها فهو ممن أبصرها ونفذ بصره فيها إلى غيرها، ولم تكن حبائلها لتقيده، ومفاتنها لتبهره، عارف بها، شاخص منها، يعمل بها لغيرها، ولا يعمل لها من أجلها، لقد أصابت أوصافُه عينَ الحقِّ وروحَه، ولم يكن اللفظ ليعجزه فيأتي بمرادفه، بل كان بعيد الغور، لطيف السبك، تنساب المعاني بين يديه انسياب السيل إلى بطن الوادي.

ومهما تحدثنا عن كلام علي عليه السلام فلن نبلغ من الثناء عليه مبلغا، ولا من التعريف به مطمحا، فهو دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين، ولكن سبيل نحاول أن نكون به مع إمامنا، وطريق يجمعنا به، وهو بعد فتحٌ في كل معاني القيم الأدبية والتربوية والأخلاقية، المقيم على النهل منها مقيم على كنوز عظيمة لا تنفد، وبلاغة لا توصف، وبيان معجز، وأسلوب رائع.

هوامش البحث

(١) نهج البلاغة (صبحي الصالح): ٣٥٤
(٢) الأسلوبية والأسلوب:"عبد السلام المسدي" ٤٨ عن مجلة Langue trangaice – sept 198
(٣) نفسه: ٤٨ عن مقدمته لكتاب ريفالتو:Essai de stylistiqe stracturale: 12
(٤) الأسلوبية والأسلوب: ٤٩ عن المرجع الغربي السابق: ١٤٦
(٥) المدارس النقدية الحديثة: م هـ / تر د. عبد الله معتصم الدباغ: ٥٥
(٦) علم الأسلوب (صلاح فضل): ١٠٠.
(٧) لسان العرب: (سلب)
(٨) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني):٤٢
(٩) دلائل الإعجاز (عبد القاهر الجرجاني):٤١١
(١٠) مقدمة ابن خلدون(ابن خلدون):٥٧٠-٥٧١
(١١) ظ:الأسلوبية والبيان العربية:١٢
(١٢) اتجاهات البحث الأسلوبي (شكري عياد):٢٣
(١٣) النقد الأدبي الحديث: أسسه الجمالية (د سعد أبو الرضا):٤٥
(١٤) ظ مقدمة كتاب الأسلوبية والبيان العربي"محمد عبد المنعم خفاجى وصاحباه":٥
(١٥) النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية "سعد أبو الرضا" ٨٠
(١٦) أصداء دراسات أدبية نفدية " عناد غزوان": ٧٦
(١٧) ظ:في الاسلوب والاسلوبية "محمد اللويمي"٤٦ والبلاغة والأسلوبية "محمد عبد المطلب" ٢٦٨
ظ الموقع www
(١٨) البنى الأسلوبية في سورة الشعراء(تومان غازي الخفاجي):٤٧
(١٩) نظرية الأدب (أوستن وارين ورينيه ويليك) تر. محيي الدين صبحي ٢٢٦
(٢٠) يوسف: ٥٥
(٢١) الأعراف: ٦٧
(٢٢) يوسف:٥٥
(٢٣) تحف العقول (ابن شعبة الحراني): ٣٧٤
(٢٤) نهج البلاغة:٢: ١٥٧
(٢٥) نفسه ٢: ١٥٧
(٢٦) الخطل: الخطأ ينشأ عن عدم الروية
(٢٧) نفسه: ٤: ١٧

(٢٨) ظ: (الهامش) شرح ابن عقيل ١: ٢١٧
(٢٩) نفسه: ٤: ٧٦
(٣٠) نفسه : ٤: ٤٦
(٣١) نفسه: ٤: ٢٨
(٣٢) ظ: التلخيص (القزويني):١٥٧
(٣٣) تاج العروس: ٢٢/٢٠
(٣٤) نفسه:٢٠ /٩٩
(٣٥) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٩٩/٢٠
(٣٦) تفسير العياشي ٩/١، والبحار ١١٤/٩٢.
(٣٧) الكافي ٦٢٧/٢، وتفسير العياشي ٩/١.
(٣٨) الأحزاب: ٣٥ هذه الآية مما رواها جمع كبير من علماء الجمهور، ينظر على سبيل الإيجاز: شواهد التنزيل(الحسكاني):٣١/٢، وتفسير الثعالبي: ٤١/٨، وتاريخ ابن عساكر: ٧٢، ونهج الإيمان (ابن جبر):٧٧، وفضل آل البيت (المقريزي): ٤٥.
(٣٩) نهج البلاغة:٣٥٤
(٤٠) ظ: البحار:١٣٨/٤٥، والعوالم (البحراني): ٤٣٨
(٤١) شرح نهج البلاغة (ابن ميثم) ١١٣/٤
(٤٢): إبراهيم:٢٤
(٤٣) مجمع البيان: ٧٤/٦
(٤٤) ظ: الكتاب (سيبويه): ٢٣٨/٢، والمقتضب (المبرد): ٧٨/١
(٤٥) ظ المقتضب: ١٠٤/٢
(٤٦) نهج البلاغة: ٤٨٨
(٤٧) مجمع البحرين(الطريحي): ٣٧٥/٤
(٤٨) الغاشية ك ١٣-١٤-١٥
(٤٩) ظ: شرح النهج (ابن أبي الحديد): ١٩٧/١٢
(٥٠) ظ: التبيان:٣٣٦/١٠
(٥١) نهج البلاغة: ٤٧٧، روى غير عالم ومحدث من علماء الجمهور حديث النبي هذا، ومنهم: أحمد في المسند:٩٥/١، ١٣٨، والنسائي في السنن: ١١٧/٨، وأبو نعيم في الحلية: ١٨٥/٤.
(٥٢) شرح النهج (ابن أبي الحديد): ١٨ /١٧٣
(٥٣) ظ: الصحاح: ٥ /١٩١٢
(٥٤) مغني اللبيب:٢٥٥/١

(٥٥) ظ الصحاح:١٨٨/٥ وشرح النهج (ابن أبي الحديد:١٧٣/١٨

(٥٦) روى هذا الحديث جملة من الحفظ والمؤرخين، منهم ابن حجر في لسان الميزان ٤٧١/٤، والقندوزي في الينابيع ٢٧٢/١، والخطيب البغدادي في تاريخه ١٧٧/٥ وابن عساكر في تاريخه ٢٣٠/٥.

(٥٧) التوبة: ٦٧

(٥٨) آل عمران: ٣١

(٥٩) شرح النهج (ابن أبي الحديد):١١٩/١

(٦٠)ظ البحر المحيط (أبو حيان الأندلسي) ٣١٧/١

(٦١) شرح النهج:١٢٠/١

(٦٢) البقرة:١٨٨

(٦٣) نهج البلاغة:٤٨

(٦٤) نفسه: ٤٩

(٦٥) الصحاح (الجوهري):١٩٤/٥

(٦٦) نفسه ٣: ١١٢

(٦٧) نفسه ٣:٩٤٠

(٦٨) نهج البلاغة:٤٩/١

(٦٩) مغني اللبيب:١ /٢١٤

(٧٠) الخصائص:٢١٥٧-١٥٨

(٧١) نهج البلاغة:٤٩

(٧٢) رسائل المرتضى:٢ /١١٢

(٧٣) ظ: تاج العروس:١٨/١٤٠- ١٤٨

(٧٤) نهج البلاغة: ٢٢٢

(٧٥) رسائل المرتضى:١١٢/٢

(٧٦) نهج البلاغة: ٥٠

(٧٧) ظ مسند أحمد بن حنبل:٤٨/٣ المجموع (محيي الدين النووي): ١٨ /٢٤ وكذلك كشف اللثام (الفاضل الهندي):٦/٩

(٧٨) رسائل المرتضى: ٢ /١١٣

(٧٩) الصحاح:٤:١٥٠

(٨٠) نهج البلاغة: ٣٢٣:

(٨١) النساء:٦

(٨٢) البحر المحيط:٣٠٦/٣
(٨٣) مجمع البيان:١١٨/٣
(٨٤) نهج البلاغة: ٣١٨
(٨٥) نفسه: ٥١٣
(٨٦) الأنفال: ٨٥
(٨٧) نهج البلاغة: ٣٥٨
(٨٨) نفسه: ٤٩
(٨٩) نهج البلاغة:٣٣٦
(٩٠) البقرة:٢٧ والرعد:٢٥ ومحمد:٢٢
(٩١) ظ: تاج العروس:٤: ٢٣٠ - ٢٣٦
(٩٢) طه: ٤٠
(٩٣) الأنبياء:٨٨
(٩٤) نهج البلاغة: ٣٤٦
(٩٥) شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد):١٩٩/٢
(٩٦) الحديد:٢٠
(٩٧) ظ التبيان: ٢٠/٩
(٩٨) نفسه: ٣٤٦
(٩٩): فصلت: ١١
(١٠٠): رسائل المرتضى: ٤٢٩/١
(١٠١) الأحزاب: ٧٢
(١٠٢) رسائل المرتضى: ٤٢٩/١
(١٠٣) نهج البلاغة: ٣٤٧
(١٠٤) نفسه: ٣٤٧
(١٠٥) آل عمران: ١٨٥
(١٠٦) نهج البلاغة: ٣٤٧
(١٠٧) نفسه: ٢٢٩
(١٠٨) نفسه:٤٨١
(١٠٩) نفسه: ٤٨١
(١١٠) ظ شرح الرضي على الكافية (رضي الدين الاستربادي) ٣/ ١٠٦
(١١١) نفسه: ٣/ ٩٠

(١١٢) الحج: ٢
(١١٣) نهج البلاغة: ٤١٧
(١١٤) الحشر /١٨ ، والقمر /٢٦
(١١٥) يس/٥١ والقمر/٧ والمعارج /٤٣
(١١٦) آل عمران / ١٠٣
(١١٧) الأنبياء / ١٠٣
(١١٨) المفردات/٣٧٩
(١١٩) الأنبياء / ١٠٣.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الأسلوب والأسلوبية د. عبد السلام المسدي الدار العربي للكتاب ط٣ ١٩٧٣م.

٣- الأسلوبية والبيان العربي د. محمد عبد المنعم خفاجي و د. محمد السعدي فرهود و د. عبد العزيز شرف الدار المصرية اللبنانية ط١ القاهرة ١٩٩٢م.

٤- أصداء دراسات أدبية نقدية د. عناد غزوان منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق ٢٠٠٠م.

٥- البحار، محمد باقر المجلسي رحمه الله مؤسسة الوفاء بيروت- لبنان ط ٢ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٦- البلاغة والأسلوبية محمد عبد المطلب مكتبة لبنان ناشرون المكتبة المصرية العالمية للنشر لونجمان ١٩٩٤م.

٧- البنى الأسلوبية في سورة الشعراء، تومان غازي الخفاجي طباعة تموز للنشر والتوزيع دمشق ط ١ ٢٠١٢.

٨- تاج العروس محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي دراسة وتحقيق علي شيري دار الفكر ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.

٩- تاريخ بغداد، أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بروت – لبنان د.ت.

١٠- تاريخ مدينة دمشق، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: علي شيري دار الفكر بيروت – لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٥م.

١١- تحف العقول إبن شعبة الحرّاني، قام بتصحيحه والتعليق عليه، علي أكبر غفاري،ط ٢ مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ١٤٠٤هـ.

١٢- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي مطابع النصر الحديثة، الرياض د.ت.

١٣- تفسير الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي، حقق أصوله وخرج أحاديثه الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان د.ت.

١٤- تفسير العياشي المحدث الجليل أبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي المعروف بالعياشي، وقف على تصحيحه وتحقيقه هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية طهران د.ت.

١٥- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القادر الجرجاني تح محمد خلف الله احمد و د. محمد زغلول سلام دار المعارف القاهرة ١٩٦٧م.

١٦- حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

١٧- الخصائص، إبن جني تحقيق محمد علي النجار مصر ١٣٨١ هـ.

١٨- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني صححه وعلق عليه مصطفى المراغي مصر ط٢ د ت.

١٩- رسائل الشريف المرتضى تقديم وإشراف السيد أحمد الحسيني مطبعة سيد الشهداء – قم ١٤٠٥ هـ.

٢٠- السنن الكبرى، النسائي، تحقيق، الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط ١ ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٢١- شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.

٢٢- شرح الرضي على الكافية منشورات جامعة قارينوس تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ١٩٧٨ م.

٢٣- شواهد التنزيل لقواعد التفصيل، الحافظ الكبير المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر، إيران، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٢٤- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ط١ القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

٢٥- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته د صلاح فضل دار الشروق ١٩٩٨

٢٦- عوالم العلوم والمعارف والأحوال، الشيخ عبد الله البحراني، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي قم المقدسة، ط١ ١٤٠٧ هـ .

٢٧- فضل آل البيت عليهم السلام، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق السيد علي عاشور العاملي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٨- في الأسلوب والأسلوبية د. محمد اللويمي مطابع الحميضي الرياض ط١ ٢٠٠٥

٢٩- الكتاب، سيبويه مطبعة بولاق ١٣١٦ هـ.

٣٠- كشف اللثام عن قواعد الأحكام الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسن الأصفهاني المعروف بالفاضل الهندي. تحـ مؤسسة النشر الإسلامي قم د. ت.

٣١- لسان الميزان، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي بيروت – لبنان ط٢ ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

٣٢- مجمع البحرين العالم المحدث الشيخ فخر الدين الطريحي أعاد بناءه محمود عادل د. ت.

٣٣- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٩٥م.

٣٤- المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محيي الدين النووي (٦٧٦هـ) دار الفكر د. ت.

٣٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل دار صادر بيروت د. ت.

٣٦- المقتضب، المبرد (٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

٣٧- نظرية الأدب أوستن وارين ورينيه ويليك، ترجمة محيي الدين صبحي مطبعة خالد الطرابيشي. ١٩٧٢

٣٨- النقد الأدبي الحديث: أسسه الجمالية د. سعد أبو الرضا د. ط ١٤٢٥هـ.

٣٩- نهج الإيمان، زين الدين علي بن يوسف بن جبر، تحقيق السيد أحمد الحسيني، نشر مجتمع الإمام الهادي عليه السلام مشهد ط ١ ١٤١٨ هـ.

٤٠- نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح، بيروت - لبنان ط ١ ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م.

٤١- ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران ط ١ د. ت.

موقع :www.djelfa.info

الدوريات:

- الثقافة الأجنبية ع ٣ ١٩٨٧م (المدارس النقدية الحديثة في معجم المصطلحات الأدبية) ابرامز تر د. عبد الله معتصم الدباغ.